الحديث الثاني: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: « الْحَرْبُ خَدْعَةٌ » [1]

ورواه – أيضا – أبو هريرة رضي الله عنه. [2]

قوله: (الحرب)، نقيض السلم، مؤنثة، وتصغر على حريب، بدون هاء.

قوله: (خدعة)، أصل الخدع إظهار أمر وإضمار خلافه. والمخادعة: الاحتيال والمراوغة، بإظهار الخير مع إبطان خلافه، ليحصل مقصود المخادع.

وهذا موافق لاشتقاق اللفظ في اللغة. فإنهم يقولون: طريق خيدع، إذا كان مخالفا للقصد، لا يشعر به ولا يفطن له، ويقال: للسراب، الخَيْدع؛ لأنه يَغُر من يراه.

وقد ضُبط هذا اللفظ على وجوهٍ:

قيل: بفتح الخاء وسكون الدّال «خَدْعة»، أي: أنها خدعة واحدة، من تيسرت له حق له الظفر. قال الخطابي [ت ٣٨٨] [3]: "ومعناه أنها مرة واحدة، أي: إذا خُدع المقاتل مرة واحدة لم يكن له إقالة". قال النووي [ت ٦٧٦]: "فيها ثلاث لغات مشهورات اتفقوا على أن أفصحهن «خَدْعة»، بفتح الخاء وإسكان الدال، قال

---

(١) رواه البخاري (٣٠٣٠)، ومسلم (١٧٣٩).

(٢) وهو في الصحيحين: البخاري (٣٠٢٩)، ومسلم (١٧٤٠). وفيهما – أيضا – عن على رضي الله عنه أنه قال: "وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم، فإن الحرب خدعة". البخاري (٣٦١١، ٦٩٣٠)، مسلم (١٠٦٦).

(٣) «معالم السنن» (٢/٢٦٩)، وانظر له أيضا: «غريب الحديث» (٢/١٦٦ و٢٦١/٣)، وإصلاح غلط المحدثين (ص٦٨).

ثعلب وغيره [1]: وهي لغة النبي ﷺ " [2]. وحكاه القاضي عياض [ت ٥٤٤] عن أبي ذر الهروي [3].

وقيل: بضم الخاء وسكون الدال، «خُدعة»، أي: معظم ذلك المكر والخديعة.

وقيل: بضم الخاء وفتح الدال، «خُدَعة»، أي: إنها خدّاعةٌ للإنسان، بما تخيل إليه وتمنيه، ثم إذا لابَسها وجد الأمر بخلاف ما خيل إليه.

قال النووي: "واتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب، وكيف أمكن الخداع، إلا أن يكون فيه نقض عهد، أو أمان فلا يحل". اهـ [4]

«وقد كان النبي إذا أراد غزوةً ورَّى بغيرها، ومن هذا الباب قول الصديق في سفر الهجرة عن النبي ﷺ: هذا الرجل يهديني السبيل[5] » [6]. ونظائر هذا في السنة وأثار الصحابة والتابعين كثيرة.

وانظر فصلاً نافعاً مفيداً للعلامة أبي عبد الله ابن الأزرق [ت ٨٩٦]، "في مكائد ما قبل القتال وآدابه"، في كتابه «بدائع السلك في طبائع الملك» [7].

---

(١) قال ابن العراقي [ت ٨٢٦] في «طرح التثريب» (٢١٤/٧): " الذي رواه الخطابي عن أبي رجاء الغنوي عن ثعلب أنه قال: بلغنا أنه لغة النبي صلى الله عليه وسلم ".

(٢) انظر شرحه على «صحيح مسلم» (٤٥/١٢).

(٣) في «مشارق الأنوار» (٢٣١/١).

(٤) من شرحه على «صحيح مسلم» (١٢/ ٤٥).

(٥) قال أنس رضي الله عنه: "فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير". والحديث في صحيح البخاري (٣٩١١).

(٦) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٨/٢٢٣-٢٢٤).

(٧) طبعة وزارة الإعلام العراقية (١٦١/١)، وفي طبعة دار السلام (١٤٥/١)، وكلاهما مصورة ومحملة على الشبكة العنكبوتية «النت».